

عنوان المحاضرة

﴿ كيف تقرأ في كتب الفقه؟ ﴾

لفضيلة الشيخ

عبد السلام محمد الشويعر

- حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيرًا ثم أما بعد:-

فهذه الكلمة في دقائق معدودةٍ بمشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ، عُنون لها من قِبل الإخوة الأفاضل بعنوان: **"كيف تقرأ في كتب الفقه؟"** والحقيقة أني وجدت هذا السؤال إجابته من أصعب الإجابة، وذلك أيها الإخوة أن العلماء رَحِمَهُم اللهُ تَعَالَى يقولون: إن الفقه صنعة، كما عبَّر بذلك أبو الوليد بن رشد في كتابه **"الضروري في أصول الفقه"**، والصنعة تعليمها من الأمور الدقيقة التي تحتاج إلى دُربةٍ، وإلى ملازمةٍ وطولِ مكثٍ، وقبل ذلك توفيقٌ من الله عَزَّ وَجَلَّ وذكاء من الشخص ومناسبةٌ في نفسه وذهنه.

ولذلك فإن إجابة هذا السؤال قد يكون من أصعب الأمور، فما زلت أقلِّب هذا الموضوع في ذهني فلا أجد له جوابًا، بيدَ أني سأحوِّر الموضوع قليلًا، فبدل من أن يكون موضوع هذه المحاضرة: **"كيف تقرأ في كُتب الفقه؟"**، ليكن الحديث عن كُتب الفقه، بدلًا عن كيفية القراءة فيها، فإن الكُتب وسيلة من الوسائل المهمة في تحصيل العلم، ولذلك من ما زال أهل العلم في الحديث وغيره يعتدون ويعتبرون بالوجادة للكتب طريقًا من طريق التحمل وطريقًا من طريق النقل والاعتماد عليه، ولذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأصل فيه أنه نقل بعض حديثه في حياته عن طريق الكُتب والوجادة كما كتب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لهرقل وغيره من ملوكِ الآفاق.

إذًا هذه الكُتب في الحقيقة هي وسيلةٌ من وسائل تحصيل العلم؛ لأن طالب العلم يُحصِّل العلم بوسائل، من هذه الوسائل الكُتب كما مر معنا ومنها: الأخذ عن الأشياخ، ومنها الرواية، ومنها المذاكرة، ومنها الحفظ، وغير ذلك مما يكون مندرجًا أو قسيمًا لهذه الأمور التي سبق ذكرها، والحقيقة أن الكُتب والقراءة فيها كما أنه أمرٌ مهم فإنه أحيانًا قد يكون سببًا في الانصراف عن العلم، لأن ذلك يكون سببًا في الانصراف من جهات:

الجهة الأولى: حينما يرى المرء كثرة الكُتب، ويرى المرء كثرة العلم، فحينئذٍ يستصعبه، يستصعب العلم، ويستثقل قراءة هذه الكُتب كلها، كما قال عليٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْه: **"العلم نقطة كثَّره الجاهلون بخوضهم"**،

ولذلك كلما طال الزمان عن عهد النبوة، كلما كثر الكلام، وكثُر الخوض، وكثر التفصيل والتشقيق للمسائل، وأقل المسائل التي العمدة فيها على حديثٍ أو حديثين؛ لربما أُلِّفت مجلدات وأعني ما أعني بهذا الأمر.

فعلى سبيل المثال:

فقراءة المأموم الفاتحة خلف الإمام أُلِّف فيها أكثر من خمسة عشر مؤلَّفًا من غير تتبعٍ ولا استقراءٍ لهذه المسألة، والإشارة بسبابة المُصلي حال التشهد أُلِّف فيها أكثر من العدد الذي ذكرته قبل قليل في نفي الإشارة وإثباتها وتتبع طرق الحديث وعِللِهِ، وما يتعلق في محلها، وهذا القول بأنها أربعة مواضع يُشار فيها وما عدا ذلك من الأمور.

إذًا إذا كانت المسألة بهذه القلة وهذه السُهولة ومع ذلك يُكثَّر في هذا التشقيق، فإن كثرة الكُتب أحيانًا تكون سببًا للبُعد وتصعيب العلم على بعض الناس.

الأمر الثاني: أن كثرة الكُتب أحيانًا قد تكون سببًا في التكاثر، وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۞ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١، ٢]، وقد جاء من بعض من له لطائف في حديثه أن قال: إن جمع الكُتب إذا كان من غير قصد الإفادة والقراءة فيها يكون من التكاثر، وهذا معروف، فإننا نعرف من طلبة العلم من يُباهي غيره ويُنافسه في شرائه أجَّد الكُتب، بل وأنفسها وأعتقها، فيجد أن للكتاب طبعتين، فينتقي منهما الأغلى ثمنًا لا الأفرد له.

ولربما اشترى الغالية بأضعاف أضعاف وأعني ما أقول، بأضعاف أضعاف قيمة الثانية وإذا اشتراها فإنه لا يقرأ فيها لكون ورقها قديمًا مهترئ أو لغير ذلك من الأسباب، فهذا في الحقيقة داخل كما ذكر بعض الفضلاء في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، التكاثر في كل شيء، ومنه أن يتكاثر على الناس ويُفاخرهم بكثرة كُتبه وتميز طبعاتها، وما يتعلق به.

إذا قضية كثرة الكُتب أحيانًا قد يكون مشكل، وفي نفس الوقت فإنه لا شك ولا ريب أن من أكثر ما يُعين على ضبط العلم، وعدم السآمة فيه، وعدم الملل في تحصيله، وفي نفس الوقت في فهم العلم كثرة

الكُتب؛ لأن الشخص قد يقرأ كتابًا فيمر عليه فهم المسألة إما فاقدًا للفهم بالكُلية، وإما أن يفهم جزءً منها لا على سبيل الإطلاق، فإذا قرأه في كتابٍ آخر، الثاني وضح الأول، وزاد قيدًا، وفتح مشكلًا.

كما أن المرء إذا اشترى كتابًا وإن كان الكتاب الأول يُغني عن الثاني، لكنه إذا اشترى الثاني فسيقرأ فيه فيُجدد المعلومة التي قرأها في الأول، ولذلك قال بعض الفضلاء: إذا أردت أن تعرف الرجل هل ما زال مع طول عمره وتقدمه، هل ما زال ممن يُجدد علمه أم لا؟ فانظر هل يقتني الكُتب أم لا؟ فإن كان يقتني الكُتب، فمعناه أن الرجل ما زال يُحدِّث معلوماته، وما زال يقرأ، إذ المرء بطبعه يمل من الكتابة، الذي لا يمل منه شيء واحد وهو القرآن، لا يخلق على كثرة الرد، كما جاء في حديث الحارث الأعور عن علي.

ما عدا ذلك من الكُتب يمل منها صاحبها، ويمل من تكرارها، ويمل من الإعادة من النظر فيها، فإذا غُيِّر الكتاب بأسلوبٍ واسمٍ وورق آخر؛ ربما كان ذلك سببًا في تثبيت العلم، وهذا واضح، فأنا أعلم من الذين لهم في طلب العلم ثلاثين سنة أو أربعين سنة، غالبًا الذين استمروا هم الذين ما زالوا يُتابعون الكُتب في فنٍ أو في فنونٍ فيقتنونها أو يقرؤونها من غير اقتناءٍ كإعارةٍ من مكاتب عامة ونحو ذلك.

إذًا أريد أن نعلم مسألة، وهذه المقدمة نجعلها مدخلًا، أن الكُتب هي نعمة من الله عَزَّ وَجَلَّ ووسيلة لتحصيل العلم بطرقٍ مختلفة لكسب المعلومة، وفهم المعلومة السابقة، والتذكر لهذا العلم، وقد تكون أحيانًا فتنةً لصاحبها إما إذا رأى الكُتب الكثيرة استصعب العلم، وإما أن تكون فتنة حينما ينشغل بزخرف هذه الكُتب وشكلها عن مضمونها، وهذا واقع لا يتكلم عن أناسٍ بعيدين، فإن مننا من نعرف أنهم إنما يعتني في الكُتب بهيئتها وشكلها والمفاخرة بها لا بالقراءة.

ولذلك قد يكون بعض الناس كمثل الذي يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها، إذًا نرجع لمسألة الكتب مهمة جدًّا، وما زال أهل العلم يُعنون بكتب الفقه، ولهم في تحصيلها غرائب الأخبار، وعجائب الآثار، وأذكر لكم قصةً واحدة على سبيل الإيجاز، كيف أن بعض أهل العلم يتعب تعبًا كثيرًا في تحصيل بعض الكُتب؟

قيل: إن إسحاق بن إبراهيم بن راهويه إمام من أئمة المسلمين ولا شك، أن الإمام إسحاق رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أراد أن يتحصل على كُتب الشافعي -محمد بن إدريس- في الفقه، فبحث عنها فلم يجدها، فقيل له: إن رجلًا كان ممن كتبها عن الشافعي -أي من تلاميذ الشافعي-، كتب عنه كُتبه، وأن هذا الرجل قد مات،

وورث كُتبه زوجته، أي ورثت زوجته كُتب زوجها، قيل: فكان إسحاق أو فإسحاق تقدم لهذه المرأة وتزوجها لا رغبةً بها، وإنما رغبة في كُتب الشافعي التي عندها.

إذًا يتزوج امرأة لأجل أن يتحصل على كُتب الشافعي، حتى قيل إن كتاب الجامع لإسحاق، لكن قيل ما لم يصح بذلك أن كثيرًا منه إنما نقله من كُتب الشافعي القديمة على طريقة العراقيين التي أخذها بهذه الوسيلة، فالمقصود من هذا أن أهل العلم كانوا يُعنون ويتعبون في تحصيل الكتب، أمر عجيب جدًّا، وقد أُلِّفت كُتبٌ مفردةٌ في تعب العُلماء في التحصيل على الكُتب.

هذه الكُتب كُتب الفقه، الحقيقة كُتب متنوعة ومتعددة، وأذكر مرةً من المرات، في بيت الرزاق عليه رحمة الله، كانت كُتب الفقه في مكتبته درفة واحدة، ولم يكن أحدٌ يشك أن الشيخ من أكبر الفُقَهَاء، بل الشيخ لما كان، الشيخ عبد الرزاق عفيفي أقصد، لما كان يُدرِّس الطُلاب في الشريعة قبل نحو من أربعين أو نحو من خمسين أو ستين سنة، كانوا يقولون للشيخ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: يا شيخ أن تأتينا بعلمٍ لا ندري من أين تأتينا به؟

فما هو الكتاب الذي ترجع له يا شيخ لكي نأخذ منه هذا العلم، قال: أنا لا أرجع إلى الكتاب الواحد، هذا الكتاب الذي بين أيديكم هو الروض، فإن هذا الروض فيه مسالةٌ وفيه تصوير للمسألة، فيه المسألة عنوانها، وفيه تصوير المسألة، وفيه دليل المسألة، وفيه ضابط المسألة، يقول الروض هذا فيه أربعة لكن كيف تقرأ هذا الكتاب؟

انظر هذرا الرجل، هذا العالم، قرأ هذا الكتاب الشيخ عبد الرزاق عفيفي، وكان يستخرج منه كلامًا يقولون: استعجموا في الكتاب عندنا فلا نستخرج ما استخرجت، وأن لقراءة كُتب أهل العلم طريقة وفن ومسلك مهم جدًّا يجب أن المرء يعتاد عليه، فليست قراءة كُتب الفقه، كما تُقرأ كُتب الأدب، يمر عليها المرء مرورًا سريعًا، وإنما لقراءة كُتب الفقه طريقة اعتاد عليها أهل العلم فلابد من الانتباه لها.

قبل الحديث عن طريقة قراءة الكُتب، وإن كنت نسيت الرجوع لهذا الموضوع فذكِّروني فإني أنسى، أريد أن أبيِّن مسألة: وهو أن كُتب الفقه متنوعة، ومتعددة، وليست على سننٍ واحد، ولا على مسلكٍ واحد، بل من المهم إذا أردت أن تقرأ كتابًا من كُتب الفقه أن تعلم لم أُلِّف هذا الكتاب وما غرض مؤلفه من وضعه؛ فإن بعض الكتب أُلِّفت لأجل التعليم، كُتب التعليم، حتى أن بعضها سميت هكذا مسائل التعليم

ككتاب ابن حجر، الهيثم الشافعي، ففي كتب أُلِّفت لأجل التعليم، وهذه الكُتب التي أُلِّفت لأجل التعليم أغلبها من المختصرات.

فالمختصر يُجعل ليتعلم به المبتدئ، ويحفظه المتوسط، ويستذكر به المنتهي، ويستذكر يعني: يتذكر العلم ويعرف مواطن المسائل بقراءة هذا المختصر، قلنا يبتدئ به المبتدئ فيرتاض ويتعود على كُتب الفقه، ويعرف مصطلحاتهم، ويعرف تبويبهم، ويحفظه المتوسط، لأن المرء إذا حفظ متنًا فإنه يُجاوز مرحلة المبتدئ ويكون متوسطًا، وأما المنتهي فإنه يحتاج لهذه المختصرات للاستذكار، فإن المرء بين الفينة والأخرى يحتاج إلى استذكار العلم الذي علمه، وأسهل طريقة للمراجعة مراجعة المحفوظ، ومن المحفوظ حفظ المختصرات، كما قال الناظم:

وبعـــد فالفقـــه عظـــيم المنزلـــة قـــد اصـــطفى الله خيـــار الخلـــق لـــه

لكنـــه بـــل كـــل علـــم يوضـــع بـــدون حفـــظ لفظـــه لا ينفـــع

فحتى المنتهي لابد أن يكون حافظًا لمختصرٍ ونحو ذلك، إذا المختصرات جُعلت لهذه الأغراض، لم تُجعل المختصرات، انظر لعبارتي!

لم تجعل المختصرات لمعرفة المذهب، لذلك يقول بعضهم وهو ابن قاسم قطلوبغا الحنفي: اعلم أن التصحيح النصي مقدمٌ على التصحيح الالتزامي، التصحيح الالتزامي ما هو؟ أن يأتي مُؤَلِفٌ فيقول: إن كل ما ذكرته في هذا الكتاب هو المعتمد في مذهب فلان، هذه تصحيحٌ التزامي، مقدَّمٌ عليه التصحيح النصي، عندما يقول: هذه المسألة المعتمدُ والمشهور والصحيح أو المذهب كذا فيها.

إذًا فالنصي مقدمٌ على الالتزامي، ولذلك إذا أردت أن تنسب قولًا بمدرسةٍ ما، فحينما تنسبه لمختصر يُعتبر ذلك قصور، قصور ليس خطئًا وإنما هو قُصور، وتمام العمل أن تذكر من الذي صحح من كُتب التصحيح والترجيح وبيان المذهب الصريحة، هذا هو الصواب فيها، ولذلك قلما يوجد كتاب من المختصرات إلا ويوجد فيه من الأخطاء والفوات، ولذلك أَلَّف العلماء كُتبًا انتبهوا معي!

أُلِّفت كُتبٌ باسم كُتب التصحيح، هناك كُتب اسمها كتب التصحيح، والتصحيح إنما يكون في الغالب المختصرات، ياتي بمختصر فيقول: إن صاحب المختصر أخطأ في كذا فخالف، لم يُحسن في التعبير في كذا، وهكذا، إذًا التصحيح هذه كتب موجودة جدًّا، وكتب موجودة ومشهورة جدًّا، ومنها ما طُبع

كتاب "**تصحيح التنبيه للنووي**"، ومنها كتاب "**تصحيح المنهاج للبلقيني**"، والبلقيني ألَّف النصف الأخير وما ألَّف النصف الأول من الكتاب، ولذلك هو لا يريد إلا النصف الأخير، لأن النصف الأول ما ألَّفه، وهو كتاب يدل على سعة علم هذا الرجل، واطلاعه، ومنها "**تصحيح القدوري على مذهب الحنفية**"، لصاحبه الذي ذكرناه قبل قليل ابن قاسم قطلوبغا، ومنها كتاب "**تصحيح الفروع للقاضي علاء الدين المرداوي على مذهب الإمام أحمد**".

والعلماء يقولون: كما ذكر ذلك بعض المحشين أن الإطلاق عندهم خطأ، فالإطلاق في الكُتب خطأ، فمن تصحيحه أن تذكر القيد، إذًا أريد أن تعلم مسألة مما ذكرته وألخصها، أن من أهم الأمر أن تعرف الغرض من تأليف المُؤَلِف، فمن أغراض المؤلفين في المختصرات قصدهم التعليم، فلا تنزل المختصر منزلةً فوق منزلته، فإنما المقصود به التعليم، والاستظهار، والحفظ والتذكر، ولكن طالب العلم الدقيق إذا أراد أن ينسب مسألةً لمذهب فلا يخرجها من المختصرات، وإنما يأخذها ممن صحَّحها تصحيحًا صريحًا، فلا تجاوز به المراد، كما أن هذه المختصرات لم تجعل أصلًا للتدليل، فإن هناك كتبًا جعلت للتدليل، وبعض الناس يبحث عن مسألة في مذهب ما، ويريد دليل هذه المسألة فينظر في كتاب وكتابين وثلاثة، يقول: لم أجد لها دليل؟

نقول: لأنك مثلاً تبحث في الكتب التي عُنيت بالتدليل، وإنما بحثت إما في مختصرٍ أو في كتاب ذكر خلافٍ نازلٍ، أو في كتابٍ إنما قصده التفريع، فهناك كتب من الفقه الغرض منها التفريع وسأشير له بعد قليل، إذًا أريد أن نرجع مرة أخرى إلى المختصرات وعرفنا غرضها، وعرفنا ما يتعلق بالمختصرات أن هناك كُتب أُلِّفت عليها تسمى بالتصحيح إضافةً للشروح، الغرض الثاني من أغراض المؤلفين في التأليف في الفقه الذي أشرت له قبل قليل وهو التدليل، التدليل على المسائل، وهذه الكُتب مهم جدًّا أن طالب العلم يعرفها أن يعرف هذه الكُتب.

لكي إذا أراد دليل مسألة أو مناطها فإنه يرجع إلى هذه الكُتب، فإن هذه الكُتب هي العُمدة في ذلك، وقبل أن أذكر بعض من أسماء الكُتب في هذا الباب بحسب ما يسمح به الذهن، اعلم أن التدليل أنواع، فهناك كتبٌ أُلفت للتدليل النصي يعني الأحاديث التي تدل على هذا المذهب، فعلى سبيل المثال "**سُنن الدارقطني**"، هذا الكتاب أُلِّف للتدليل لمذهب الشافعي، سُنن الداقطني هذا المشهور، أساسًا ألَّفه أبو

الحسن علي الدارقطني للتدليل على مذهب الشافعي، وكذلك كُتب البيهقي، وخاصةً المعرفة، معرفة السُنن والآثار، إنما أتى به لحشد الأدلة التي توافق مذهب الشافعي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

ومثله على مذهب الإمام أحمد سُنن الأثرم، وقد وجد بعضه وفقد أكثره، وعند أبي حنيفة النعمان وأصحابه أشهر كُتبه كتاب العظيم كتاب أبي جعفر الطحاوي، صاحب **"مُشكل الآثار"**، و**"شرح معاني الاثار"**، فإنه في الحقيقة ذكر هذه مسندةً للتدليل على مذهب أبي حنيفة النعمان رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، ومثله مذهب مالك، وأجَّلُه: **"موطأ مالك"**، فإنه للتدليل لمذهبه.

إذًا المقصود أن هناك كتب مسندة للتدليل، وهناك كُتبٌ بعد ذلك جُمعت للتدليل، للتدليل ما أتيت بالتعليل بعد، وإنما للتدليل النصي، من الكُتب التي عُنيت للتدليل النصي على مذهب أحمد لعلي أختصر ولا أذكر إلا كتب مذهب الإمام أحمد اختصارًا، من الكُتب التي عُنيت بالتدليل على مذهب الإمام أحمد كتابٌ مهم جدًّا جدا، وهو كتاب **"الممتع شرح المُقنع"** لابن المنجى، هذا الكتاب مهم جدًّا هو الذي ألف ابتداءً لحشد الأدلة للرواية التي أوردها المقنع صاحب **"المقنع الموفق"**، والرواية الأخرى التي أشار إليها.

ولذلك لا يستغني أحد من الاستدلال بمذهب الإمام أحمد عن هذا الكتاب، وكثير من هذه الأدلة التي فيه نقلها البرهان بن مفلح في **"المبدع"**، وكثير من أدلة صاحب **"المبدع"** نقلها صاحب الكشَّاف، إذًا صاحب الكشَّاف ينقل أكثر الأدلة عن المبدع، والمبدع استفاد كثيرًا من كتاب الممتع لابن المنجى رحمة الله على الجميع.

إذًا من اقتنى هذا الكتاب وهو **"الممتع"** في ست مجلدات، إذا أردت أن تفتحه فإنك لا تفتحه تبحث عن خلاف، ولا حل ألفاظ، ولا تفريع، ولا تبيين مسائل، وإنما تفتحه لأجل الاستدلال فقط، والكتب التي تتعلق في الاستدلال في جمع الأحاديث وتخريجها كثيرة جدًّا، ولكن أريدك أن تعلم أنه هناك كتبًا أُلِّفت في الاستدلال.

النوع الثالث: هذا انتبه له، أن من الكُتب المهمة جدًّا، الكُتب التي أُلِّفت لأجل ذكر الخلاف، هناك كُتب الغرض منها ذكر الخلاف فقط، وقد يكون ذكر الخلاف نازلًا أو عاليًا، فإن كان عاليًا، فإنه اصطلح بعض أهل العلم على تسمية هذه الكُتب برؤوس المسائل، فيذكرون رؤوس المسائل للخلاف فيها.

وإن كان نازلًا، يعني الخلاف في داخل مذهبٍ واحد، فإنه تُسمى ذكر الخلاف المذهبي، هذه الكُتب مهمة جدًّا جدا جدًّا، لأنه في الغالب إذا أردت أن تحكي قولًا في المذهب مذهب ما؛ فلابد أن ترجع لهذه الكُتب لحكاية الخلاف النازل فيها، هذه الكُتب تحشد لك الخلاف الموجود في الكُتب كلها وتجمعه في كتابٍ واحد، هذه الكُتب غالبًا مع ذكر الخلاف يُبينون ما هو المعتمد، بأن من أجل القواعد في معرفة المعتمد معرفته باعتبار الأكثر، فمؤلف هذا الكتاب قال: إن هذه المسألة وجدت فيها وجهين:

<u>**الوجه الأول**</u>: قال به عشرة، والثاني: قال به ثلاثة، بناءً على ذلك يختم بقاعدة أن المعتمد والمشهور، لنقل المشهور لأن المشهور المراد في قول الأكثر أن المشهور هو الأوجب دون الثاني، من قواعد البيان المعتمد، وصحيح المذهب متعددة تصل إلى ست أو سبع قواعد منها قول الأكثر، كيف تعرف قول الأكثر؟ عن طريق هذه الكُتب، الأول قال به فلان، وفلان، وفلانٌ، وفلان.

الكتب التي عُنيت بذكر الخلاف في داخل المذهب كثيرة جدًّا، ولكنها تنقسم إلى قسمين:

<u>**القسم الأول**</u>: كُتبٌ تذكر كل خلاف المذهب، كل خلافٍ بالمذهب تذكره، وهذا مثل الكتاب العظيم الذي هو من أهم كُتب الحنابلة وهو كتاب **"الإنصاف"**، للقاضي علاء الدين المرداوي، واسمه **"الإنصاف في معرفة الخلاف"**، والمراد بالخلاف هنا خلاف المذهبي النازل، فإنه لا يذكر خلاف الأئمة، كالإمام أبي حنيفة ومالك والشافعي.

هذا الكتاب مهم جدًّا ولا يستغني عنه طالبُ علمٍ في ضبط مذهب الإمام أحمد ومعرفة الخلاف فيه، فإنه جمع ما وقف عليه من كُتب، وقد كان علاء الدين المرداوي ناظر مكتبة، ناظر المكتبة العُمانية، ليس عنده عمل إلا الجلوس في المكتبة، فلذلك كان يجمع الكُتب، ويجمع جمعًا لم يُسبق إليه عليه رحمة الله.

ومن أهم الكُتب التي جمعت الخلاف كله في مذهبٍ ما، كتاب العزيز الرافعي، وكتاب العزيز الرافعي، من أهم كتب الشافعية، حتى قال ابن النقاش شيخ الحافظ بن حجر: اليوم رافعيةٌ لا شافعية، أصبحت لا ترجع لكلام الشافعي ونسيتموه، وإنما ترجعون لكلام الرافعي، ومن النكت هنا: أن بعضًا ممن استدرك هذا الرافعي وهو عبد الرحيم الإسناوي في كتاب استدركه عن الرافعي، قال: وقد وقفت على كُتبٍ لم يقف عليها الرافعي، هذا الرافعي الذي اعتمدوه، لكن فوق كل ذي علمٍ عليم، أو ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ

عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، هذا الرافعي مع الوقوف على هذه الكُتب إلا أنه لم يقف على بعض الكُتب، جاء من بعده بنحو مائتي عام ففاخر فقال: وقفت على كُتبٍ لم يقف عليها الرافعي، وقد ذكروا أن الرافعي لم يقف على كتب الشافعي نفسه، لم يقف على الكتاب الأم، قيل ذلك لا أدري، لكنه نُقل أنه لم يقف على الشافعي، بحث عنه لم يجده.

وهذه هنا نكتة لو نخرج قليلًا، هذا الرافعي الذي ملأ الدنيا سمعًا وبصرًا في زمانه حتى قيل أنه الاعتماد على كلامه الشيخان: هو والنووي، ومع ذلك لم يقف على هذا الكتاب الذي أصغر طلبة العلم عندنا يستطيع أن الوقوف عليه، لا أقول أصغر طلبة العلم، بل كلكم جميعًا الآن في دقيقة واحدة تستطيع أن تفتح عن طريق جهازك الذكي قد يُفتح لك، تأتيك أربع طبعات من كتاب الأم في جهازك الذي في جيبك.

وهذا يدلنا على مسألة لابد أن ننتبه لها أن العلم ليس بكثرة الكُتب، وإنما العلم ببذل الجُهد، بعض الإخوان يريد أن يتحصل على العلم ثم يأتيك يقول: أعطني الكتب لأسجلها، إذا رأيت الرجل مقبلًا بهذه الهيئة فاعلم أنه قد لا يستمر في كثيرٍ من الأحيان، خذ العلم بالتدرج، وخذ العلم بالاكتساب، ولا تأخذ كلام غيرك في أسماء الكُتب، وإنما خذ الخبرة في التعامل مع الكتب.

أنت قد تحصل على كتب لم يقف عليها الراوي مثل هذا الكتاب، ومع ذلك طالب علم من بعد الرافعي في مذهب الشافعي إذ به لا أحد يُقاربه إلا القليل، إذًا ليس دائمًا كثرة الكُتب علامة العلم أو علامة التميز، أو علامة الفهم، بل قد يكون ضد ذلك.

نرجع لكلامنا إذًا هذا النوع الأول من أنواع معرفة كتب الخلاف أو الخلاف الكلي في المذهب، وفوق كل ذي علمٍ عليم، لابد أن يكون هناك قد فات بعضهم بعض الشيء، هناك نوع من ذكر الخلاف داخل المذهب، هناك كُتب الغرض منها ذكر الخلاف القوي في المذهب، لا يذكرون كل الخلاف، وإنما يذكرون الخلاف القوي فقط.

هل الكُتب عند الحنابلة مثلاً يقولون: هي الكُتب التي تُبيِّن الروايتين، القاضي أبو يعلى عليه رحمة الله وهذا إمام من أئمة المسلمين، أَلَّف كتابًا سماه "**الروايتين والوجهين**"، وهو مطبوع وموجود، أراد أن يُبيِّن أن هذه المسألة أهم شيء فيها قولان، ماعدا ذلك هي روايات وأقوال لكنها ليست قوية، جاء ابن الفراء فكمله

فسماها "**التمام**"، وقبلهما أبو بكر عبد العزيز بن جعفر، هو ابن الخلال في كتاب "**زاد المسافر**"، وفي "**التنبيه**"، وفي "**الشافي**"، أراد أن يذكر الخلاف القوي فقط، الروايتين ولا يذكر ما عدا ذلك.

من طريقة المتأخرين الذي عُني بذكر القولين، وهو من أهم الكُتب ويجب على طالب العلم أن يقتنيه إن أراد أن يعرف الخلاف القوي في المذهب، وهو كتاب الكافي للموفق ابن قدامة، وهذا كتاب عظيم جدًا تستفيد منه أمرين:

الخلاف القوي: وهو رواية هذه القوليات، ومن أهم الكُتب في معرفة قواعد المذهب هذا الكِتاب، هذا الكتاب يضبط لك القواعد والمناطات، وهي الأدلة وهي الأقيسة، المناطات هي الأقيسة، ففيه من العلم الشيء العظيم، وأحد المشايخ الكبار العلماء رَحِمَهُم اللهُ تَعَالَى، مرةً يقول: من توفي عنهم من المشايخ الكبار العلماء الكل يعرفه بلا استثناء، كان يقول: هذا الكتاب كنت غافلًا عنه ولم أعلم به إلا متأخرًا، كنا غافلين عن هذه الكتاب وهو الكافي؛ لأن فيه علمًا عظيمًا، وهو كتاب "**الكافي**" للموفق، كفى به كافٍ عليه رحمة الله، كذلك عند الشافعية، كتاب "**السلسلة في القولين**".

عند الحنفية عدد من الكُتب التي تُعنى بالقول، وعندهم تجد كتاب أبو الليث السمرقندي يذكر جميع الروايات وهكذا كتب كثيرة فيه، وقلت لكم أنني لن أذكر أسماء الكتب لكي لا نشتت الذهن ولا نضيع الوقت، عندنا النوع الثالث من الكُتب لكي تعرف الكتاب هذا ما الغرض منه؟ وهو الكُتب التي جُعلت لأجل التفريع، بمعنى أن يذكر المسألة الكُلية، وما الذي يتفرَّع عليها؟ هذا النوع من الكُتب مهم جدًّا في اكتساب ملكة الفقه.

أن يُعطيك القاعدة الفرع وهو الأساس، ثم يستقرئ لها أصلًا ثم يبني على هذا الأصل العدد من الفروع الفقهية، كُتب التفريع هذه من الكُتب المهمة، التي تُكسب الشخص الملكة، وتكسبه حسن بناء المسائل بعضها على بعض، وألا يناقض قوله في مسألة المسألة الأخرى.

ومن أندر الكُتب، أنا أعطيت الكتب الواضحة التي يعني مشهور جدًا منها عندك كتاب "**صاحب الإنصاف**" الذي ذكرناه قبل قليل فإنه يُعنى بالتفريع فيقول هذه المسألة يُبنى عليها كذا، ولكن إذا قال فوائد يقول: وعلى القول بالقول الأول فيكون كذا وكذا، وعلى القول بالقول الثاني كذا.

"**المُغني**" يُعنى دائمًا بالتفريع، فيذكر المسألة بالكُلية ومناطها ثم يذكر التفريع تحتها بعد ذلك، هذه علم التفريع الفقهي له قواعده الحاكمة له، وبالإمكان أن نجعل يومًا كاملًا في التفريع، لكن بعض القواعد أن تفريع المبدع عندهم قاعدة أننا لا نفرع إلا على القول المعتمد، القول غير المعتمد لا يُفرَّع عليه، إلا من باب التفقه فقط، ولذلك دائمًا إذا رأيت قولًا قد فُرِّع عليك فهو المعتمد، نص على ذلك في الإنصاف، ونص على ذلك صاحب العزيز، قال ولا تفريع إلا على المعتمد، فإذا رأيتهم يفرقون على قول؛ إذًا هذا هو القول المعتمد عندهم، القول الثاني: إذا لم يُفرِّعوا عليه فليس بالمعتد.

<u>الأمر الثاني</u>: أن فائدة التفريع أن من يُعطيك لوازم القول وما بُني عليه فإن القول فيه إشكال فالتفريع سيكون فيه إشكال، ولذلك بعد التفريع قد تُصحح اجتهادك في القول الأول فتجعل له قيدًا، ولذلك العلماء عندما يأتون بالمسألة ويفرِّعون عليها ثم ينتصرون للأصل فمعناه أنهم نظروا القول، ونظروا إلى لوازمه، فوجدوا أنه منضبط، وأنه مضطرد، وهذا مما يُقوي تصحيح القول الأول لأنكم تعلمون أنه من النواقض بالعلة وللحكم وهو العكس بأن تأتي بما وافقه في العلة ولا تأتي فيه بالحكم فيكون حينئذٍ ناقضًا.

إذًا كتب التفريع هذه مهمة، وغالب من يستفيد منها أحد اثنين:

إما شخص يكتسب الملكة، ملكة الفقه.

أو رجلٌ يبحث عن جزئيةٍ وليست عنده يريد حكمها فيجد في التفريع، وهذه مسائل التفريع هي التي أطالوا فيها الكلام، وأنصح بكلام ابن القيم في مسألة أرأيت أرأيتَ، أرأيت أرأيتَ هي للتفريع، لكن بعض أرأيت أرأيتَ مذموم، وبعض أرأيت أو بعض الرأي ممدوح، والكلام قلت لكم في التفريع هذا قلت لكم يحتاج يوم كامل، يوم كامل في التفريع، متى يكون ممدوح ومتى يكون مذمومًا.

<u>النوع الرابع مما كان غرضًا في التأليف في الكُتب</u>: وهو أن يُؤلَّف كتاب الفقه للتوضيح فقط، يأتيك لتوضيح المعاني، فقط للتوضيح وغالبًا هذا في الشُروح، ويكون للمختصرات، ومثل التوضيح الحواشي، فعندك عندما تريد أن تمضي كتاب شرحه حاشية، كيف تريد أن تفرِّق بينهما؟ الشرح التوضيحي، والحاشية للاستدراك غالبًا، أن أقول هذا غالبًا ليس على سبيل الطرد.

غالبًا الشرح يكون لتوضيح، إذا كان عندك متن ترجع له، فإذا أردت توضيحه ترجع للشرح، الاستدراك والملاحظة، والعناية ببعض دقائق المسائل تجدها في الحواشي ولا تجدها في الشروح، فكُتب

الشُروح في الأصل المقصود منها التوضيح وليس المقصود منها التفريع، لكن قد يستطرد بعض الشراح فيفرع، الشروح في الأصل المقصود منها ليس التدليل، ولكن بعض الشروح تُعنى بالتدليل، فتجمع بين التوضيح والتدليل، الشروح في الأصل لا يقصد منها ذكر الخلاف، لا النازل ولا العالي.

لكن بعض الشُرَّاح يذكر هذا وذاك، ولذلك أن تأتي بشرح يجمع هذه الأمور كلها؛ كان بعض العلم يقول يظن ذلك فإنه سيُكبِّر الكتاب ويجعل شأن هذا الكتاب مرجعًا في كل شيء، قالوا: وهذا إنما يكون في كُتب معدودة مثل كتاب المُغني وغيرها هو الذي يشمل كل شيء، هذه بعض الأغراض في التأليف، لأن طرق العلماء في التأليف عجيبة جدًّا ومتنوعة، ولو أردنا أن نتتبع كُتبهم وطرائقهم فهي عجيبة، فبعضهم يؤلف كتب فقط في الألغاز الفقهية، وبعضهم يؤلف كتب مثل ابن مازة الحنفي يؤلف كُتب في المسائل المحيرة، ما هي المسائل المحيرة؟ التي حيرتهم فلم يجدوا لها جوابًا.

في مسائل يقولون ها ما أدري، هذه المسائل المحيرة طبع كتاب ابن مازة وفيه مجلد سماه المسائل المحيرة، بعض من أهل العلم يؤلِّف كتابًا بعينها أو في باب بعينه، لمعرفة الكُتب التي أُلفت في باب مهمة جدًّا فإنها في الغالب تكون فيها من التفريع والتدقيق ما لا يوجد في غيرها، فكل فقيه من الفُقَهَاء الكبار ونتكلم عن المتقدمين، إذا أَلَّف في بابٍ على سبيل الخصوص فإنه يتوسع في مثل، يعني بعض الذين ألفوا في أحكام القضاء، وتوسعوا فيه وهكذا.

بعض العلماء يؤلف كتبًا فقط في غريب ألفاظ الفُقَهَاء، ألف هذا الكتاب في الغريب، القصد من بيان ألفاظ الغريب، مثل كتاب ابن جني في **"غريب المدونة"**، ومثل مثلاً **"المُطلع"**، ومثل **"تهذيب الأسماء واللغات"** لابن أبي الوفا القرشي، أو **"طرق الهداية"**، أو تهذيب الأسماء واللغات في **"المهذب للنووي"** أو المغري لابن باطش، الكُتب كثيرة من ضمنها ما أذكر أسماءها.

إذًا مهم جدًّا إذا أردت أن تقرأ كتاب قبل أن تقرأ الكتاب قبل أن أنتقل إلى الجزء الأخير أختم بها حديثي، يجب أن تعرف أن هذا الكتاب الفقهي لمؤلف، كيف تعرف ذلك؟ بفتح مقدمته، فأول ما تقرأ كتابًا اقرأ مقدمته لتعرف هذا الكتاب لم أُلِّف؟ وما غرض المُؤَلِف من تأليفه، فحينئذٍ إذا أردت مسألةً أو أمرًا معينًا في كُتب الفقه عرفت ما الذي ترجع له وما الذي لا ترجع له؟

بعض الإخوان يقول هذه المسألة موجودة عند المالكية لم أجدها، بحثت في الشاملة، طبعًا المسألة الشاملة هذه بحثت فلم أجدها، أقول لن تجدها هنا، ستجد هذه المسألة لأنها من التفريعات في كتب التفريع مثل التبصرة للخمي ستجد فيه مثلاً، أو الكُتب التي عُنيت بالتفريع، ولم تعد تتعلق بالتفريع، وهكذا إذًا، معرفة مظنة المسائل مهم جدًّا.

واحد يقول: أبحث عن دليل، ابحثه هنا، واحد يبحث عن تفريع وهكذا يجدها في مسألته.

أختم حديثي في آخر خمس دقائق وهي المقدمة التي ذكرتها قبل قليل، لا أخفيكم سرًا أنني أتيت بها لتطويل المحاضرة، لأنه قيل لي: اجعل هذه الكلمة نصف ساعةٍ أو أكثر لأن كيفية قراءة كُتب الفقه، الحديث فيها خمس دقائق أو عشر، فجعلت هذه المقدمة التي قبل قليل أبحث عن كلام وأنا أتكلم قبل قليل لكي نطيل المحاضرة.

موضوعنا صلب المحاصرة هو الآن، كيف تقرأ كتاب فقه؟

باختصار، اعرف النوع الكتاب الذي ستقرؤه، فاقرأه للغرض الذي أُلف له هذا واحد.

الأمر الثاني: إياك أن تقرأ كتاب فقه دون دُربتك ومعرفتك بمصطلح أهل الفن، من لم يعرف مصطلح أهل الفن يأتي بغرائب الأمور وعجائب الفهوم، ألم يقرأ في رسائل الباحثين المعاصرين وخاصة طلاب الماجستير يقرأ عجب، فهم كلام بلغتنا الدارجة، أو فهم كلام هذا الفقيه بلغة شُرَّاح الحديث، أو فهم كلام هذا الفقيه بلغة الأصوليين، لأن استخدام الفُقَهَاء أحيانًا يُخالف استخدام الأصوليين، وهناك محاضرة كاملة تكلمنا عن قضية الفرق بين استخدام هؤلاء وهؤلاء.

إذًا لابد أن تعرف اصطلاح القول، من النكت التي تُذكر، يقول ابن دقيق أو يقول ابن بدران: أنني كنت أقرأ على شيخي في الشام فجاء باب المدبَّر، فجاء أحد الطلاب يسأل ابن بدران قال يا شيخ ما معنى المدبَّر؟ يقول فهذا الشيخ حكَّ رأسه ما هو قال هكذا أو أنا أحكيها بالمعنى، فجلي يحك رأسه وأرجع عمامته قليلًا ثم قدَّمها، قال: المدبَّر هو الذي يأتيه سيده في دُبره.

هذا جاهل ويُدرِّس، هذا ذكره الشيخ عبد القادر بن بدران، المدبر هو من؟ هو الذي عُلِّق عتقه على الوفاة، فيكون عتقه معلقًا على دبر الحياة أي في آخرها بعد الوفاة مباشرة، يقول: عبدي فلان حرٌ إذا مت، وحكمه حكم الوصية في الجُملة، فيجوز بيعه ويجوز الرجوع فيه وهكذا.

إذًا بعض الناس يفهم خطأ، وذكر أظن **"صاحب المواهب"** الحطاب أو غيره قال: غن بعض الضعفاء يشرح كتاب خليل بن إسحاق في الفقه، فمر بقوله في باب الوليمة وهو في الأكل بالخيار، فظن أن قوله بالخيار أي يأكل مقدار خياره، فكان شيخ الطلاب يقول: وأقل ما يُعد أكلًا أي وليمة النكاح أن يأكل بحجم الخيارة.

إذًا مصطلح الفُقَهَاء مهم جدًا أن يعرفه، وهكذا الأمثلة كثيرة جدًّا بالعشرات لكن نذكر بعضها، قبل قليل، إذًا معرفة مصطلح أهل الفن مهم، كيف تعرف مصطلح أهل الفن؟ بقراءة العلم على أهله، أسرع طريقة أن تقرأ على شيخ يعلم الفن، تقرؤه على شيخ يعلم الفن، بل هل تعلم أن المذهبين قد يكون لأحد المذهبين مصطلح يستخدم غير المصطلح الثاني، بل المذهب الواحد؛ مدرسة العراقيين تخالف مدرسة الشاميين حتى الحنابلة في بعض المصطلحات عند العراقيين لها مصطلح غير مذهب غير مصطلح الشاميين.

مثل ما جاء في كتاب الأدب المنظَّر، كلمات له دلالته تختلف عن دلالته عند الموفق وغيره، إذًا أهم شيء أن تعرف مصطلحات أهل الفن، والحديث فيه طويل، من المصطلحات معرفة الأسماء، معرفة الرموز، معرفة أشياء كثيرة، كلٌ بحسبه، المبتدئ له مصطلحاته، والمنتهي له مصطلحاته، وكل كتاب له مصطلحات.

الأمر الثالث: إذا أردت أن تقرأ كُتب الفقه فاعلم أن قراءة كتب الفقه تحتاج إلى تأمل فلا تُقرأ بسُرعة، تحتاج إلى تأمل، وأن تقف مع اللفظ، واعلم أن كُتب الفقه فيها ميزة وخاصةً كُتب الفقه التي ألفها العلماء في المذاهب المتبوعة الأربعة، فإن الكتاب الواحد إذا أَلَّفه الرجل فإنه في الغالب يكون قد أخذه ممن قبله، فاختصر عبارة من قبله، فهو محاكٍ له، ثم إذا أَلَّف هذا الكتاب جاء بعده من يشرحه، ثم جاء من يُحشي عليه ويستدرك عليه، وهذا من المكتوب.

ناهيك عن الألوف الذين أقرؤوه وبيَّنوا الخطأ فيه، ولذلك وخاصةً في المتون المشهورة في الغالب لمن أراد أن يتعب سيجد أنه مخدوم خدمة دقيقة جدًّا، وكل كلمةٍ فيها موزونة، فإذا كان الكلمة غير موزونة صححوها في كتابٍ أو في آخر لكن بعض الطلبة قد يقف على الكتاب أو لا يقف عليه، أما الذي يؤلف ابتداء بلغته الآن ثق أن في كلامه قد يكون فيه بعض الخطأ ما لم يستفد من كلام الأوائل، إذًا العلماء بعضهم يأخذ من بعض، ولذلك إذا أردت أن تقرأ كُتبهم فاقرأها بتأمل، واقرأها بنظرٍ دقيق، لأن لهم اعتبارًا كبيرًا،

لبعض أهل العلم لمَّا ألَّف بعض الشروحات، كانت طريقته أن يذكر المنطوق، ثم يذكر المفهوم، ويُبين صحة المفهوم من عدمه، كما هي طريقة صاحب الإكليل في شرح مختصر الخليل، فهذا كتاب جميل في بيان المنطوق لكل مسألةٍ والمفهوم، وابن المُنجى في الممتع كثيرًا ما يُبين مفهوم صاحب كلام المقنع، يقول مفهومه كذا، ومفهومه كذا، وأصحاب الحواشي والشروح، والمنتهى والإقناع دائمًا ما يذكرون مفهوم المنطوق ويبينون هذا، ولذلك عندهم قاعدة هل المقدَّم مفهوم المنتهى أم منطوق الإقناع؟

قالوا: إن منطوق الإقناع مقدَّم على مفهوم المنتهى، وأما إن كان منطوقًا فيُقدم منطوق المنتهى عليه وهي المسألة المشهورة الكل يعرفها.

الأمر الأخير في مسألة كيفية قراءة كتب الفقه: أنه لابد في كُتب الفقه من إعادتها، وتكرارها وعدم الاكتفاء بمرة، حقيقة أحزن عندما أرى طالبًا نجيبًا فتقول له يقول أنا الكتاب الفلاني قرأته ولن أرجع له، أو يقول قرأت الفقه، الفقه للاستغراق، ماذا قرأت؟ قرأت الكتاب الفلاني، تعجب أن تخرج منه هذه الكلمة مع نجابته وذكائه وحرصه، لا يمكن أن تنال العلم بقراءة ولا قراءتين ولا ثلاثة ولا أربعة، كُلنا إلا ما ندر من الناس يستحضر الشيء قريبًا ثم ينساه، إلا قلة من الناس، يقولون إن الزمان، علماء النفس يقولون لا يوجد في العصر كله إلا عشرة، كل عصر يوجد عشرة عندهم هذه الحالة التي إذا مر عليه شيء لا ينساه.

العلم يُنسى، فلابد لك من استذكاره، لابد لك من استذكاره، فلابد من المراجعة، هذا العلم نحن نقول العلم يُنسى، فكيف يُمكنك أن تستذكر هذا الكلام عندما تقرأ كتاب الفقه؟ لأهل العلم مسالك، افعل أي مسلكٍ من هذه المسالك سأذكر بعضها على سبيل التمثيل لكي لا يظن المرء أنه على سبيل الحصر، بعض أهل العلم وهذه الطريقة قديمة عندهم أنه كان يجعل له كتابًا واحدًا من كُتب الفقه يرجع إليه دائمًا، وكلُ كتاب فقهٍ يقرئه يجد فيه زيادة على هذا الكتاب يثبت هذه الزيادة في هامش هذا الكتاب، فيكون هذا الكتاب عنده هو المرجع، إذا أراد أن يُراجع أو يستذكر أو يُحَضِّر لدرس رجع لكتابه هذا فقط، ولذلك تجد يقول نسخة فلان من كتاب كذا، تجدها مليئة بالحواشي.

شيخنا الشيخ عبد الله الرباطي المتوفى سنة ألف ومائتين وخمس وثمانين نسخة من الروض مليئة بالتعليقات، ونسخته من المنتهى مليئة بالتعليقات، وجد فائدة عند شخص وقف على متاب أثبتها، ولذلك

لا أظن يقول: أن أحيانًا قد تأتيك السانحة في مسألةٍ فقهية إن لم تسجلها ضاعت، كيف تسجلها في محلها؟ في مظنتها في الكتاب، ميزة أنك تسجلها على مظنتها بالكتاب، أنك حتى ترجع لهذا الكتاب وتجد المظنة ستستذكر هذه المسألة وما قبلها وما بعدها، وستقرأ حتى تجد المسألة في مظنتها، هذه هي الطريقة.

طريقة بعض أهل العلم آخرون: انه إذا وجد مسألةً كتبها، يجمع ثم يجمع المتناظرات وحدها، ثم بعد ذلك يؤلف بينها، فيكون من باب جمع النظائر، وهناك طرق كثيرة جدًّا بعضهم إذا وجد فائدةً لابد أن يلتقي بطالبٍ أو بزميل فيخبره بهذه الفائدة لكي لا ينساها، دائمًا الفائدة إذا قرأتها خبِّر بها زميلك، تبقى في ذهنك أكثر، دائمًا تكلم بالفائدة، لا تكن ضنِّينًا بها، فإن الحديث بالعلم زكاته، والزكاة نماءٌ له، وهذا مجرَّب، كل فائدة تجدها خبِّر الناس بها، قل لزملائك: وجدت هذه الفائدة، وتكلَّم بها فإنها تثبت في الذهن بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ.

مما يتعلق بقراءة كُتب الفقه: أن قراءة كتب الفقه من الأشياء المهمة فيها أن تقرأ على الشيخ، ولذلك سبحان الله العظيم من خصائص هذه الأمة القراءة على المشايخ، واحرص على أن تقرأ على شيخٍ يُحسن الفن، لأني أعلم أن هناك ن يريد أن يتعلم الفن على رؤوس الطلاب، فيقول أقرئ الطلاب هذا الفن لأتعلمه، أعرف من يقول هذا الشيء، من لا يُحسن الأصول يقول: سأدرِّس الأصول لأفهم الأصول، انت تظلم الطلاب الذين عندك، فلا تقرأ الفن إلا على من يُحسنه، لن تصل لمن وصل أو قد لا تجد من وصل في العلم منتهاه، أو بلغ فيه درجةً عالية، وإنما الإنسان يبحث عن من يقرأ عليه، وطريقة أغلب المشايخ أو كثير من المشايخ أنه يستمر في القراءة على شيخه حتى يُفرِّق بينهما سفرٌ أو عجزٌ أو وفاة.

الشيخ عليه رحمة الله، كان يحفظ درس أُناس في السبعين من عمرهم، ما انقطعوا عن درسه، بعض الإخوان يبدأ في الدرس أسبوعين، ثلاثة، ثم ينقطع، يمل، هذا ليس بطالب علم، الثاني يحضر ثم يقول: اكتفيت، لا تقطع، وخاصةً إذا كان شيخك له فضل عليك، لا تقطع الدرس أبدًا، إلا أن يُفرق بينكم عجزٌ أو موتٌ أو سفر، وهذه ملاحظة عند أهل العلم قديمًا، ولذلك كان أهل الحديث يكتبون يقولون: من المحبرة إلى المقبرة، وما زال بعض أهل العلم يحضر، لا يلزم أن يكون درسًا طويلًا وإنما درس القراءة، والإفادة، وحلق العلم وخاصةً من أخذ عن شيخه ونسب له الفضل، فيه من البركة ما لا تعلم، كما قال بعض أهل العلم: إن من بركة العلم نسبته إلى أهله، وأن يُنسب إلى الأشياخ ويذكرون ويُترحم عليهم.

إذًا قصدي في قضية القراءة على المشايخ مهمة، والاستمرار فيها أهم، حتى وإن نال المرء علمًا عظيمًا، نعم بعض المشايخ يقول لتلميذه رح عني، مثل بعض مشايخ الشيخ عبد العزيز لما قرأ عليه قال له الشيخ صالح بن عبد العزيز، لما قرأ عليه قال له الشيخ صالح بن عبد العزيز: قال الذي عندي أخذته يا شيخ، رحمه الله محمد بن إبراهيم، الذي عندي انتهى هو الشيخ قال رح أنت الآن وصلت لمرحلة أعلى مني.

والشيخ جاوز الشيخ نفسه الشيخ عبد العزيز بن باز عليه رحمة الله، فالمقصود من هذا أن الاستمرار هذا مهم جدًّا فاجعل في ذهنك الاستمرار وهذا من بركة العلم، الحقيقة الحديث طويل، وصعب، فلا أخفيكم يعني أني أتيت وأنا يعني لم أستطع أن أُرتب أفكارًا في هذا الموضوع، ولذلك جمَّعت من هاهنا وهاهنا، لأملأ الوقت هل وصلت نصف ساعة؟ وصلت نصف الساعة، الحمد لله، لذلك أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ للجميع التوفيق والسداد، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح وأن يتولانا بهداه، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن كان أحد عنده أمر واحد أو تعليق واحد فيما سبق، هل في شيء؟

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد